قصة الصليب

في السابع عشر من شهر توت من كل عام قبطي يحتفل القبط والأثيوبيون، بعيد الصليب المجيد (وتحتفل به الكنيسة اللاتينية في الثالث من مايو).

وهو يمثل اليوم الذي عثر فيه علي صليب السيد المسيح، والذي علق فوقه في العام الثالث والثلاثين أو الرابع والثلاثين لميلاده الزمني من العذراء مريم، وظل مطموراً بفعل اليهود، الذين أصدر زعماؤهم أمراً إلي كل الشعب، بأن كل من لديه قمامة، أو كناسة، فليلق بها إلي حيث المكان، الذي به صليب المسيح. وذلك ليخفوا معالم الصليب، والقبر المقدس، الذي كانت تجري منه آيات الشفاء والعجائب، مما أزعج اليهود وقض مضاجعهم... وبمرور الزمن صار المكان تلاً عالياً.

وذكر المؤرخون أن الإمبراطور الروماني هادريان Hadrian ١١٧-١٣٨م أقام علي هذا التل، في عام ١٣٥م

هيكلاً للزهرة Venus (الألهة الحامية لمدينة روما) ومن بين من ذكروا هذه الرواية، البروفيسور الدكتور جاكسون في كتاب له، كما ذكرها هانز ليتسمان في كتابه (تاريخ الكنيسة القديمة) الجزء الثالث، الجزء الخامس.

وقد تم الكشف علي الصليب المجيد، بمعرفة الملكة القديسة هيلانة، أم الإمبراطورقسطنطين. وكان ذلك في عام ٣٢٦ لميلاد المسيح، ويوافق سنة ٤٢ للشهداء الأطهار.

إشتاقت الملكة هيلانة (٢٤٧-٣٢٧م) إلي أن تعرف مصير الصليب المقدس، الذي صلب عليه المسيح له المجد، وقيل أنها رأت في منامها حلماً، أنبأها بأنها هي التي ستكشف عن الصليب. وقد شجعها إبنها الإمبراطور قسطنطين، علي رحلتها إلي الأراضي المقدسة، وأرسل معها قوة من الجند قوامها ثلاثة آلاف جندي ليكونوا في خدمتها، وتحت طلبها، هناك في أورشليم إجتمعت بالقديس مكاريوس أسقف المدينة، البالغ من العمر ثمانين عاماً.

وأبدت له وللشعب رغبتها، فأرشدوها إلي رجل طاعن في السن، من أشراف اليهود ويسمي يهوذا، وكان خبيراً بالتاريخ والأحداث، والأشخاص، وبالأماكن. فإستحضرته الملكة وسألته عن صليب المسيح. فأنكر في مبدأ الأمر، معرفته به، وبمكانه. فلما شددت عليه الطلب. وهددته ثم توعدته إن لم يكاشفها بالحقيقة، فإضطر إلي أن يرشدها إلي الموضع الحقيقي للصليب، وهو كوم الجلجلة، وهو بعينه المكان الذي تقوم عليه الآن كنيسة القيامة بالقدس القديمة.

أمرت الملكة هيلانة في الحال بإزالة التل، فإنكشفت المغارة. وعثروا فيها علي ثلاثة صلبان، وكان لابد لهم أن يتوقعوا أن تكون هذه الصلبان الثلاثة: هي صليب المسيح يسوع، وصليب اللص الذي صلب عن يمينه، وصليب اللص الذي صلب عن يساره. وقد عثروا كذلك علي المسامير، وعلي بعض أدوات الصلب، كما عثروا علي اللوحة التي كانت موضوعة فوق صليب المخلص، ومكتوب عليها –

يسوع الناصري ملك اليهود – ويبدو أن هذه الصلبان الثلاثة كانت في حجم واحد، وشكل واحد، أو متشابهة، حتي أن الملكة ومن معها عجزوا عن التعرف علي صليب المسيح يسوع من بينها. ويروي المؤرخ زوسيموس وكذلك المؤرخ روفينوس في كتابه تاريخ الكنيسة. أن الملكة إستطاعت بمشورة الأسقف مكاريوس، أن تميز صليب المسيح. بعد أو وضعت الصلبان الثلاثة، الواحد بعد الآخر، علي جثمان رجل ميت، فحدثت المعجزة وقام الميت علي الفور عندما لمسه صليب المسيح، فتحققت أنه هو بالذات صليب المسيح. فأحنت الملكة رأسها إكراماً، وتكريماً للصليب المقدس. وهكذا صنع المرافقون للملكة. ثم تقدمت الملكة هيلانة وأخذت خشبة الصليب المقدس، وغلفته بالذهب الخالص، ولفته بالحرير، ووضعته في خزانة من الفضة في أورشليم. وشهد بذلك أيضاً أمبروسيوس رئيس أساقفة ميلانو في سنة (٣٤٠-٣٩٧م) والقديس يوحنا ذهبي الفم وغيرهما من آباء الكنيسة.

ثم أنشـأت الملكة هيلانة عـلي مغـارة الصليب، والقبـر، كنيسة القيامة، ووضـعت فيها الصليب المجيد. وأرسلت إلي القـديس أثناسيـوس ليدشن الـكنيسـة فذهب ودشنهـا في إحتـفال عظيم عام ٣٢٨ للمـيلاد، ولا تزال مـغارة الصليب قـائمة في كنيـسـة القيـامـة إلي الآن، ويراها كل من يزور الأماكن المقدسة.

توزيع خشبة الصليب فى أنحاء العالم :

أمـر الملك قسـطنطين بتوزيـع قطع من خشـبـة الصليب المقدس، علي كافة كنائس العالم آنذاك، وقـد إحتفظت كنيسة القسطنطينية بالجزء المتبـقي، في حين حصلت كنيسة روما علي قطعة كبيرة منه.

وذكـر القـديس كـيـرلس بطريرك أورشليم في كـتـابه (مـواعظ التـعليم المسـيـحي) أن أساقـفـة أورشليم كـانوا يوزعون من عود الصليب المقـدس علي كبار الزائرين، حتي أن الدنيا إمتلأت من أجزاء الصليب في زمن قليل. ومع ذلك

لم ينقص منه شئ، بسبب النشوء والنمو، وبسبب القوة التي إكتسبها من جسد الرب يسوع الإلهي الذي علق فوقه.

إختفاء الصليب

(١) سقوطه فى يد الفرس

وظل الصليب قائماً في كنيسة القيامة، إلي أن أستولي ملك الفرس كسري Chosrots الثاني ٥٩٠ – ٦٢٨م علي أورشليم عام ٦١٤م. وهدم كنيسة القيامة، ونقل الصليب معه إلي بلاد الفرس، في مايو – آيار لسنة ٦١٤م. ويقول المؤرخون: أن الفرس دفنوا الصليب في حفرة، في بستان مقابل قصر الملك، بعدما قتلوا الشماسين اللذين أمرهما الملك بحمل الصليب إلي البستان، وذلك حتي يخفوا معالم الصليب، ولكن شاء الله أن تشهد ذلك، فتاة صغيرة إبنة كاهن، كانت قد سباها الملك، وأقامها في بيته.

وفي عهد هرقل Heraclius إمبراطور الروم (٦١٠– ٦٤١م) إسترد الروم هيبتهم، وإستردوا الممتلكات التي أخذها الفرس منهم، ومن بينها عود الصليب (ـ٦٢٢– ٦٣٠م) حيث أخرجوه، بإرشاد تلك الفتاة من الحفرة التي ظل فيها نحو أربع عشرة سنة.وكان ذلك في عام ٦٢٩

لميلاد المسيح.

وقال المؤرخون أن هرقل آراد أن يرد الصليب إلي كنيسة القيامة، وأن يحمله، إليها بنفسه، فلبس حلته الملكية، وتوشح بوشاحه الإمبراطوري، ووضع علي رأسه تاجه الذهبي، المرصع بالأحجار الكريمة ثم حمل الصليب علي كتفه، ولما إقترب من باب كنيسة القيامة، ثقل عليه الصليب إلي درجة كبيرة. ولم يستطع أن يخطو عتبة الكنيسة، فحار في الأمر، وحينئذ تقدم إليه أحد الكهنة وقال:

"أذكر أيها الملك أن مولاك دخل إلي هذا المكان حاملاً الصليب، وعلي هامته المقدسة إكليل من الشوك، لا إكليل من الذهب. فيلزم أن تخلع تاجك الذهبي، وتنزع عنك وشاحك الملكي، ليتسني لك الدخول" فرضخ الملك للنصيحة، وفعل كما قال له الكاهن فأمكنه حينئذ أن يدخل الكنيسة في سهولة ويسر، وكأنه يحمل حملاً هيناً وخفيفاً، وحسب ذلك اليوم عيداً للصليب.

ولذا تحتفل كنيستنا الأرثوذكسية بعيدين للصليب أولهما في ١٧ من توت، والثاني في ١٠ من برمهات. الأول هو عيد ارتفاع الصليب وتكريس كنيسته، والثاني هو عيد ظهور الصليب وإكتشافه.

(٢) نقله إلى القسطنطينية :

تذكر المصادر العلمية، أن الصليب المقدس نقل بعد ذلك إلي القسطنطينية، وأودع في كنيسة القديسة صوفية، التي تحولت إلي جامع أيا صوفيا بإسطنبول، في عهد محمد الثاني الفتح (١٤٢٩ - ١٤٨١م).

(٣) إختفاء أجزاء الصليب منذ حرب الأيقونات :

حيث حدثت حرباً عواناً، إستغرقت أكثر من قرن وذلك في القرن الثامن الميلادي، في أيام فيليب باردان (٧١١-٧١٣م) حيث أزال رسومات الأيقونات من كنيسة أجيا صوفية، ومن بينها خشبة الصليب التي إختفت بعدها.

ومنذ سنة ١٤٠٠م إكتشفت قطعتان ضمن قطع الصليب في كنيسة بإيبارشية فرنسا القبطية (الحالية)، وتم تقديم قطعة منها إلي قداسة البابا شنوده الثالث لتكون بالمقر البابوي بالقاهرة. أما الثانية فهاك قصتها:

إستحضار قطعة من خشبة صليب المسيح إلى دمياط :

كيف وصلت قطعة من صليب المسيح إلي دمياط؟

كان قد حضر إلي القاهرة الأنبا جوانس ماريا رئيس الأساقفة بمدينة فينسيا مع مساعده المونسنيور إيجينوس في ٢٦ مارس ١٩٧٤م وصحبهما قداسة البابا إلي دير الأنبا بيشوي حيث قام بسيامتهما رهباناً أرثوذكسين، بعدما تنازلا عن درجاتهما الكهنوتية السابقة، وسمي الأول بإسم الراهب مرقص والثاني باسم الراهب أثناسيوس.

وقاما بعد ذلك بزيارة بعض الإيبارشيات

زيارتهما لدمياط ووعدهما بالصليب :

قاما بزيارة مدينة دمياط مـصطحبين أحد الأساقفة، في تلك السنة عينها، وقاما بزيارة كنائس المدينة والتبرك بجسد مارسيـدهم بشاي، حيث تقابلا مع كاهن الـكنيسة، ولما علم أنهمـا مغرمين بالأيقـونات القديمة، أهداهمـا ثلاثة أيقونات، واحدة كانت لديه شخصيـاً، والأخري من السيدة مارجريت قسيس، وأيقـونة ثالثة متآكلـة من مخلفات كنيسـة السيدة العذراء القديمة.

ولما أرادا أن يبادلاه الهـدية، عرضـا عليه أن يختـار أحد شيئين:

+ إما شعر يوحنا المعمدان داخل أنبوبة خشبية.

+ أو قطعة من صليب المسيح داخل حامل مشغول.

فإختار الثـانية، غير أنه كان لابد من سفـر أحد لإستلام هذه الهدية!!

وفي يوم الأحد ٢ يونية سنة ١٩٧٤م تمت سـيامة الأنبا مرقس أسـقفاً علي فـرنسا ومرسـيليا، والأنبا أثناسـيوس

خوري ابيسكوبوس علي مدينة باريس وفي أواخر شهر سبتمبر سنة ١٩٧٤م سافر الأثنان إلي مقرهما حيث تم تجليسهما.

حضورهما إلى القاهرة وإستقبال نيافة الأنبا بيشوى لهما :

وكان منتظراً حضور صاحبي النيافة من فرنسا إلي مصر في عيد الصليب المجيد في ١٩٧٥/٩/٢٧ حسب وعدهما.

وفي مساء السبت ١٩٧٥/٩/٢٦ حضرا لزيارة الكنيسة الأم، وكان في إستقبالهما نيافة الحبر جزيل الاحترام الأنبا بيشوي الذي اصطحبهما لزيارة قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده، فقدما له هدية، هي قطعة من الصليب المقدس مع الوثائق الرسمية الخاصة بها.

ثم قدما قطعة صغيرة من الصليب لنيافة الأنبا بيشوي وهي التي وعدانا بها.

حضورهما إلى دمياط :

وبعد قليل إصطحبهما نيافة الحبر الجليل الأنبا بيشوي إلي دمياط في عشية يوم الخميس ٦/١١/١٩٧٥م، حيث عمل إحتفالاً كبيراً بالكنيسة، ودشنت المقصوره المعدة لحفظ قطعة الصليب المقدسة. وفي اليوم التالي إشتركا في صلاة القداس مع نيافة الأنبا بيشوي وكهنة الكنيسة. وكان لهذا الإحتفال ذكريات قديمة، منذ أيام استشهاد القديس مارسيدهم بشاي الذي كان يحب الصليب جداً، وقد علق الأشرار صليباً من خشب علي جسده طوال فترة استشهاده، كما أنه ظهر صليب من نور علي مقبرته بعد استشهاده وظل مدة طويلة. وصدر فرماناً من السلطان العثماني برفع الصليب في دمياط أثناء الاحتفال جهاراً بدفنه، وطاف المسيحيون بهذا الصليب في كل المدينة، وبعدها رفع في كل بلاد القطر.

وها اليوم يحضرون له جزء من نفس صليب السيد المسيح ليوضع بجانبه في كنيسة السيدة العذراء.

قصة هذه القطعة من الصليب :

قال نيافة الأنبا مرقس

(أما عن هذه القطعة التي في حوزتي فقد نقلها الكابتن البحار (مُلخيو ترينزان إلي فينسيا).

حيث كانت وديعة لدي عائلة نبيلة، سلمتها في ٢٩ أبريل عام ١٥١٣ إلي حوزة البطريرك أنطوان بونتاروفي بطريرك فينسيا، ومن ثم آلت في ٣ يونيو سنة ١٨٣٨م إلي الكاردينال جاك مونيكو بطريرك فينسيا... ثم إنتقلت بعد ذلك إلي الكاردينال جان بيتر بطريرك فينسيا أيضاً، إلي أن أصبحت في ٢٠ ابريل عام ١٩١٢ في حوزة البطريرك بيرونتوني أسقف (جيراس)، الذي أعطاها للبطريرك الأسباني (جوزيف ماري جارسيا لا جريرا) أسقف (فالنس) في أسبانيا.

ويضيف نيافته.. (ونظراً للروابط الوثيقة بيني وبينه فقد قام هذا الأخير بإهدائها إليّ في ١٧ أكتوبر عام ١٩٧٠..

وها أنا أهديها بدوري إلي دمياط.

من تحت طعنة الحربة:

حضر أحد الأخوة المباركين إلي دمياط في صحبة بعض الأقارب والأصدقاء ومعهما أمرأة متوفي زوجها وبها أرواح شريرة، وكان الكاهن قد أخرج قطعة الصليب المباركة لينالوا بركتها، حسب طلبهم، فما كان من المرأة أن صرخت وأرتمت علي الأرض وهي تقول: أتخنقنا.. أرفع الصليب عني.. إنها نور ونار، دي خطيرة من تحت طعنة الحربة، وظلت تقول هكذا، حتي أستفاقت وهي تقول: خرجوا، ثم أنصرفت بسلام تشكر الله.